

Arabe
2e prix – Mohammed El Alaoui

كلمات لها بصمة

عرض لي في الآونة الأخيرة موقف ضايقي إلى أبعد الحدود. اكتشفت أنني كثير التردد لكلمة *إصدار*. أحسب أنني أرددها أكثر من أي إنسان آخر. ولو كان لي أن أخمن عدد مرات ورودها على لساني، لرجحت أنه لا يقل عن خمسة.

طبعاً، لست فخوراً بذلك. بودي لو خطر ببالي الحديث عن نسخة أو طبعة أو لنقل حتى استحضار لفظ معتاد *كإصدار*، بدلاً من لؤك الكلمة نفسها طول الوقت. لكن للأسف، ما كل ما يتمناه المرء يدركه. الأدهى والأمر هو أن اكتشفتني لإصابتي بمتلازمة *الإصدار* صاحبه إخراج ما بعده إخراج. حصل ذلك بعد التحاقني بعمل جديد. مرّت بضعة أسابيع وحدث في أحد الأيام أن سمعت ثلاثة من زملائي ممن اعتدت الحديث إليهم يرددون كلمة *إصدار* كلٌّ في سياق. وبمجرد أن تفوهت ثالثتهم – وهي زميلة كنت أعرفها من قبل التحاقني بالعمل الجديد – بالكلمة قاطعتها قبل أن تكمل كلامها قائلاً: "لحظة... هل قلت لتوك *إصدار*؟ بالله عليك، ما بالكم ترددون كلكم هذه الكلمة هنا؟" فجاء ردها صادماً وكأنه ضربة معجم غليظ وقع على رأسي: "هل أنت أهبّل، إن هذه من كلماتك أنت".

انتابني حينئذ نوبة إنكار تلاها أخذ ورد ولجاج. وأول ما عدت إلى البيت سألت زوجتي إن كانت قد لاحظت أي كلمات غريبة "تحمل بصمتي" وأكثر من استعمالها في حديثي.

فأجابت دون أدنى تردد: "تعني كلمة من قبيل *إصدار*؟". ثم أضافت وابلًا من أخواتها: "أنت تكرر أيضاً كلمة *مجانِب* طول الوقت. آه نسيت، عتيق أيضاً! ثم إنك لا تتوقف عن قول عبارة في حدود قيام شخص بكذا أو كذا".

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد. اتّضح لي أيضاً أن لدي ميلاً إلى عبارة *عفا عليه الزمن* وأن لي علاقة وثيقة بكلمة *مستبصر*.

عند عودتي إلى العمل في اليوم التالي كنت قد رضيت رغم أنني أكثر من استخدام حفنة كلمات سخيفة وأن الجميع من حولي يعلم ذلك. طرأ أيضاً تغيير في طريقة تحدثي إلى زملائي في المكتب. طبعاً لم تنضب قدرتي على تنميق ما أقول بكلمات مثل عتيق أو على إقحام عبارة في حدود *كذا* هنا أو هناك، لكنني توقفت عن سبق إصرار وبوعي عن استخدام كلمة *إصدار*. فهذه كلمة تحمل بصمتي أنا حتى وإن كنت لم أنتبه للأمر إلا قبل يوم. أما وقد أصبح الكل يردّها الآن، فقد اختلف الأمر ولم يعد يليق بي أن أبدو كمجرد مقلّد عند استخدامي لها.

وإلى جانب ذلك، تأبى نفسي أن أصبح كمثل أناس دأبوا على اختلاس كلمات تحمل بصمة غيرهم. فهذا لعمرى كسل وتقاعس! وليس من التميز في شيء! بل وكأني به تبدل أيضا! لكني سرعان ما تذكرت قبل أن يجف مداد آخر هذه العبارات زمنا أتيت فيه نفس ما أغاضني وقوعه في المكتب .

نعم، فعلت الشيء ذاته منذ أشهر. فأحد أصدقائي المقربين يستخدم كلمة رهيب كثيرا في رسائله الإلكترونية. لدرجة أن رده كان دائما: "هذا رهيب"، سواء أعلق الأمر برابط يحيل إلى شريط مصور لالتقاط بارع للكرة في مباراة بيسبول أو برابط آخر يحيل إلى مشهد سمج لثغاء عنزة. وكثيرا ما أتلقى منه رسالة عنوانها: "هذه قصة رهيبة". "الغريب في الأمر أن أسلوبه هذا يثير الإعجاب. والدليل على ذلك أنه أدى بي، دون أن أشعر، إلى أن انتزعت منه الكلمة انتزاعا.

لم أفطن لذلك حتى شهر تموز الماضي عندما امتدحت صديقة لي استعمالها غير المعتاد للألفاظ في معرض ردها على رسالة إلكترونية مني، وذيلت كلامها قائلة: "يعجبني استعمالك الفذ لكلمة رهيب". ثم أضافت: "إنها كلمة من الزمن الجميل... أتخفنا"! كان هذا القول كافيا لكي أسارع في الحال إلى تفقد كل ما أرسلته من بريدي الإلكتروني ... فكتشفت أن الكلمة قد أضحت فعلا متغلغلة فيما أكتب .